

١٣٢٧

بيروت غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٧ = الموافق ٢٠ ايار سنة ١٩٠٩

سعادة الحياة

٣

سعادة المرء في اهله (١)

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل »
« بينكم مودة ورحمة ، انَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون »
(قرآن كريم)

اقتضت حكمة الله سبحانه ان يوجد النوع الانساني اظهاراً لقدرته ، واقتضاءً لمشيئته ،فاوجد الانسان الاول وخلق له زوجاً يسكن اليها و يأنس بها ، واودع فيه تلك الغريزة وذلك الميل ليمكن الازدواج و يكون من وراء ذلك تكثير النسل و زيادة عدد هذا المخلوق ، وجعل بينهما عاطفة المودة لتتمكن حبال الأُلفة وسكون كل منهما الى الآخر ، وغرس في نفوسهما شجرة الرحمة لتثمر الصفح والاغضاء فيما لو شجر بينهما خلاف في بعض الاحيان ، او قصَّر احدهما فيما يجب له على الآخر ، وان في هذا آيةً واضحة وحكمة سامية وعلامة ظاهرة ، لايدركها الا من أُوتي عقلاً مفكرّاً ، وأُعطي

(١) الاهل الزوجة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي »

دماغاً كبيراً

لو خلق الانسان على غير تلك الحال لما كان لهذا النوع اليوم بل قبل اليوم وجود، بل كان في عالم الخفاء ، لان الرجل اوالمرأة ان لم يكن بينهما ألفة ومودة ورحمة فلا يمكن ان يأنس احدهما بالآخر ، واذا لم يكن انس فلا ميل ، واذا لم يكن ميل فلا نسل ولا ذرية

لهذا يجب على كل رجل وانثى ان يتلقنا دروس التربية ومعنى الحياة الزوجية قبل ان يكون كل منهما زوجاً ، حتى اذا بلغا ذلك المبلغ واقترن كلاهما بالآخر يكونان عارفين واجباتهما والاسباب التي تثبت دعائم الألفة ، وتمكّن علائق المودة ، والا كانت عيشتهما شقاء والممات خيراً منها — هذا ان لم يشتدّ البغض ويقوَ النفور الى درجة عدم الميل المطلق ، فان وصلا الى هذه الغاية من الوحشة والشحناء فهناك انقطاع النسل وخراب العمر ،فيضيعان بذلك تلك السعادة التي ما اقترنا الاّ لاجلها — وانّ ذاك الشقاء لا يقتصر عليهما ، بل انه يتجاوزهما الى اولادهما ان كان لهما اولاد ، والى من ساكنهما او جاورهما بحكم العدوى

فان اراد المرء ان يكون سعيداً في زوجه بعيداً عن النزاع وكل ما يجعل صفوه مكدّراً فليبتعد عن كل ما يكون سبباً في الشقاق وواسطة للشجار ، كما يجب على الزوجة كذلك ان ارادت ان تكون سعيدة في حياتها ، وذلك يكون بحلم احدهما عند غضب الآخر ، وتغاضيه عن سيئة حصلت ، وتجاوزه عن خطاء يُهضم به حق واحدٍ منهما ، فان عفا الزوج عن زلة امرأته واغضت الزوجة عن ذنب زوجها تشتد بذلك اسباب الألفة والمودة ، وتنمو عاطفة المحبة والرحمة ، وبهذا يكونان سعيدين في حياتهما

وان الرجل هو اولى من المرأة بهذا العفو والاغضاء والرحمة لان عقله ارجح وصدره ارحب واخلاقه اوسع ، فيجب عليه ان يصبر ويرحم ويعفو ويسمح ان رأى من

زوجته ما يوجب سخطه وغضبه ، ولينصح لها و يعظها و يبين لها خطأها وسيئتها باللطف والاحسان والقول المعروف ، والموعظة الحسنة والخطاب اللين ، وبذلك يملك قلبها و يستحوذ عليها حتى تكون له طيّعة كما يريد

قال الله تعالى : «وعاشروهنّ بالمعروف ،فان كرهتموهنّ فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعلَ الله فيه خيراً كثيراً » قال البيضاوي في تفسير هذه الآية : « اي فلا تفارقوهنّ لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح ديناً واكثر خيراً ، وقد تحبّ ما هو بخلافه وليكن نظرُكم الى ما هو اصلحُ للدين وادنى الى الخير »

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صبر على سوء خُلُق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب عَلَى بلائه ، ومَن صبرت على سوء خُلُق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون »

قال الامام الغزالي في كتاب الاحياء : « واُعلم انه ليس حسن الخلق معها كفّ الاذى عنها ، بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت ازواجه تراجعْنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهنّ يوماً الى الليل »

وقال عليه الصلاة والسلام : « اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً والطفهم باهله» وقال : « اتقوا الله في الضعيفين المرأة والرقيق »

ولا نظن انه متى حصل التساهل من الطرفين يبقى هناك نوع من الوحشة او النفور ، بل يكون كل منهما مجبوراً اذ ذاك على السكون الى الآخر والميل اليه

نعم ربما يكون هناك اختلاف كبير في الاخلاق او تباين من حيث جمال الباطن او الظاهر ، فحينئذ يصعب ائتلافهما و يتعذر ان يكونا سعيدين في حياتهما ، والاولى بهما اذ ذاك ان يتفرّقا ان كانا من اصحاب الشرائع التي تجيز ذلك

وان من خطاء الآباء والامهات ان يزوّجا اولادهما من رجل او امرأة قبل ان

يختبرا ارادتهما وميلهما ، وان اكثر مانراه من شقاء حياة الزوجين ناتج من اهمال هذا الاختيار واجبار الولد او البنت على الاقتران بمن لاتودّه او لايودّها ، فيجب الاهتمام بهذا الأمر اهتماماً عظيماً ، والاّ كانت العاقبة شراً على الزوجين وعلى اولادهما

سبب شقاء الزوجين وشقاق بينهما اما ان يكون مسبباً عن كراهية احدهما للآخر لاجل جمال الخَلْق او جمال الخُلُق ، ففي الحالة الأُولى يجب ان لايقترن الا بامرأةٍ فيها الاوصاف التي يريدها حتى لايكون عدم جمالها داعياً للنفور فيما بعد ، ومعرفة جمالها يكون بالنظر اليها قبل العقد وذلك جائز شرعاً وقد نصت عليه الاحاديث النبوية والكتب الفقهية . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أوقع الله في نفس احدكم من امرأة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤْدَم (يؤلّف) بينهما » اي ان النظر اليها قبل العقد جدير بان يكون واسطة للأُلفة بين الزوجين . وكان بعض الورِعين لاُينكح كرائمه الا بعد ان ينظر اليهنّ مَن اراد خطبهنّ دفعاً للغرور ، فربما تزوجت المرأة من لايعرف من صفاتها شيئاً فيكون ذلك سبباً للكراهة والبغض ، نعم ان العادة اليوم تمنع من رؤْية المرأة قبل العقد عليها ، غير ان الرجل يمكنه ان يرسل من يثق بها لترى من يريد ان يبني بها ، وهي ترى له من تجد فيها الاوصاف التي يميل اليها ، وينبغي له ان لايكتفي بواحدة ترى له تلك المرأة بل ليرسل ثانية وثالثة ورابعة حتى يثق تمام الثقة ، ثم بعد ذلك يعقد عليها

وكما ان النظر للمرأة مطلوب فالنظر للرجل مطلوب كذلك ، فربما تزوجت المرأة من لاتحب فيكون ذلك داعياً لسوء العشرة ونكد العيش ، حتى انه يحرم على الرجل ان يحسّن هيئته لترغب فيه المرأة او اهلها كما يحرم على المرأة ذلك ، فقد روي ان رجلاً تزوّج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه « اي غيّر هيئة شعره ليظهر انه شابّ فتحلل الخضاب » فاُستعدى عليه اهل المرأة الى عمر وقالوا : حسبناه شاباً ، فاوجعه عمر ضرباً وقال : غرّرت القوم

هذا ان كان النفور بسبب الجمال الظاهري، أما ان كان بسبب جمال الاخلاق وحسن الطباع فيجب على الرجل ان يبحث عن اخلاق اهلها ، و يستطلع طباع اهل بيتها باي واسطة كانت ، فان كانت كما يريد اقترن بها والا اهملها ولو كانت اجمل اهل زمانها

هذا وان اختلاط الزوجين قبل العقد لا يفيد في استطلاع احوالهما واخلاقهما لان كلاً منهما يجتهد في اظهار احاسن الاخلاق ومكارم الصفات ليحبّب فيه ،وكثير منهم ومنهن يكون بمعزل عن الاخلاق الصحيحة والضرائب الحميدة ، فيكون ذلك من باب الغش والتغرير ، وكلاهما حرام شرعاً وعقلاً

كثير من الناس يراعون في الازواج جانب الغنى والجاه والمجد ويهملون جانب الاخلاق والعلم والسيرة الحسنة ، وذلك جالب اكثر ما نراه من الشقاء والنفور بين الزوجين، وان حصل بينهما ألفة ووداد فلا يلبث ذلك ان يزول بزوال غني احدهما اوجاهه اوجماله فينقلب انسهما وحشة وسعادتهما شقاء

ان العاقل يبحث باديءَ ذي بدء عن جمال الاخلاق وحسن التربية والتهذيب والتعليم ، وليكن ذلك هو غاية ما يسعى اليه ، ثم يبحث عن الجمال الظاهري ، حتى اذا فقد هذا فلا يسبب وحشة او نفوراً ، بل يكتفي كل منهما من صاحبه بما اودعه الله فيه من الاخلاق الفاضلة والتربية الصحيحة وحسن السيرة — جاء في الحديث الشريف ،« تُنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك »[1] اي ان من يرغب في نكاح امرأة فانما يرغب فيه لامور : اما لمالها او حسبها او لجمالها او دينها،فالرسول يحذّر ان ينكح الانسان غير صاحبة الدين ،لان الدين جماع الاخلاق

(١) تربت يداك : هذه من الكلمات التي جاءت عن العرب صورتها الدعاء على الانسان وليس المراد بها ذلك بل المراد بها الحث على الشيء والتحريض عليه ٠ واصل معنى تربت يداك : لصقتا بالتراب ، ويُكنى بها عن الفقر

الفاضلة ومصدر الكمالات الصحيحة ، فان اجتمع مع ذلك الحسب والجمال والمال فتلك نعمة فاضلة ، اما إيثار الجميلة او صاحبة المال او الشرف علَى المرأة الصالحة ذات الشهامة والدين فذلك خطاء كبير

الحقوق الزوجية

ان للزوجية قوانين واصولاً يكون بها هناء الزوجين وحياتهما الطيبة، فللزوجة على زوجها حقوق مقدسة ، وللزوج على زوجته واجبات شريفة كذلك، فمتى راعى كل منهما مالصاحبه على الآخر من الحقوق كانت حياتهما سعيدة لايشوبها شائبة من الشقاق او الشقاء ، غير ان كثيراً من الازواج والزوجات لم يراعوا تلك الواجبات، بل ان الزوج يستبد بزوجته والزوجة لاتراعي حرمة زوجها ولا درجة غناه وكسبه ، فنتج عن ذلك ماجعل حياتها تعيسة غير صالحة ، وقد مُلئت بطون الكتب السماوية والمؤلفات من تلك الحقوق التي يجدر بكل عاقل ان يتبعها ولايحيد عنها قيد شبر ، فحبذا لو ان رجال الدين والاخلاق والكتبة والشعراء يسلكون هذه السبيل و يوضحون هذه الواجبات ليعرفها كل احد، وحبذا لو ان مدارسنا على اختلافها سواء كانت للذكور او الاناث تجعل في برنامج دروسها للصفوف العالية والمتوسطة درساً يبحث في هذه المسائل التي عليها مدار الحياة السعيدة ، فان ذلك هو خير من كثير مما يدرَّس في المدارس

لاشك ان الرجل قد هضم كثيراً من حقوق المرأة التي اوجبها الله عليه، وجعلها آلة بيده يتصرف بها كيف يشاء ، فحرمها من التربية والتعليم ومن كل ماينهض بها من وهاد الغباوة ، و يرفع عنها ستار الجهل ، فقد ظن انها لم تُخلق الالشهوته ، ولم توجد الاليستبد بها و يضيق عليها ، غير ناظر الى ان الله سبحانه قد جعلها مساوية له في الحقوق الدنيوية والاخروية ، ومقارنة له في كل شيء الا في السلطة الشرعية التي منحه الله اياها ، وهذه السلطة هي سلطة محدودة اودعها الله بيد الرجل لانه اقوى جسماً واوسع

عقلاً ، غير انه قد توسع في هذه السلطة واوصلها الى حدٍّ غير معقول فتعست بذلك حالة المرأة وتعست حالته هو ايضاً لتعاسة حال امرأته، وذلك لان المرأة التي يضطهدها زوجها او من له حق الولاية عليها تنظر اليه نظر العدوّ الالدّ والاسد الكاسر ، كما انه ينظر اليها نظر الحيوان الضعيف المهضوم الحقوق ، وفي ذلك شقاء الحياة الدائم لكل منهما

المرأة قد خُلقت لامرٍ هو اسمى من قضاء الشهوة والذلّ ، خُلقت لتكون قرينة الرجل وشريكة له في سعادته و بؤسه ، ومعينة له في ترتيب منزله وتسهيل الامور التي لايستطيع ان يفعلها ، خلقت لتكون انيسة له عند الوحشة ، ومستودع اسراره عند الخلوة ، ومخففة آلامه ومصائبه عند الشدة ، خُلقت لتكثير النسل وتربيته وتهذيبه واعداده ليكون من القوم الذين يقومون باعباء الخدمة الوطنية وينفعون امتهم و بلادهم . وان هذه الشهوة الحيوانية لم توجد الا وسيلةً لذلك ، ولو كان هناك واسطة للتناسل غيرها لكانت قد استبدلت بها

ان الرجل العاقل لايرغب في الزواج قضاءً لشهوته ، وانما يرغب فيه قضاءً للواجب من ايجاد نسلٍ صالحٍ يكون عوناً له وخادماً لامته في الدنيا ، ووسيلة للجزاء الاوفى في الأُخرى ، فقد ورد في الحديث الشريف : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقةٍ جارية ، او علمٍ يُنتفع به ، او ولدٍ صالحٍ يدعو له »

فمتى لاحظ المرء ذلك وعمل بالواجب عليه نحو امرأته، ومتى قامت المرأة بالحقوق المفروضة عليها ، وعمل كل منهما لنفع الآخر وإيناسه ووجدت بينهما المودة والرحمة وسكن كلٌّ منهما الى الآخر فهناك السعادة الحقيقية في الحياة الزوجية

الرجل الطيب

بقلم احمد لطفي افندي السيد

لست في حاجة الى مصباح ديوجين لأبحث عن الرجل او عن الرجل الطيب اني لأراه من غير مصباح في ذلك الرجل الفلاح طويل القامة كبير الرأس كثيف اللحية ، يسوق المحراث طول النهار بحركة بطيئة تدل على نفس صبور مملوءة بالرجاء لا يروعها خوف الحوادث الجوية تذهب بما يبذر · نفس هادئة لا تهيجها الانفعالات المتعاقبة للاعصاب المؤثرة التي هي دائماً محل لوقع الحوادث في المدن · يمرُّ به المترفون في عرباتهم أو على ظهور الجياد وهو ماشٍ طول النهار على قدميه العاريتين او اللابستين نعلاً من جلد الجمل · يمرون به لابسين الحرير وجسده نصف عريان معرَّض لحرارة الشمس تشوي جلده فتغير لونه · ينظر اليهم حين يمرون بهِ على السكة الزراعية فلا يهيج نفسه المطمئنة هائج الحسد ، وحسبه من الحياة ثقته بان الله غير مضيع اتعابه سدى · يجيئه العمدة او العسكري او الضابط فيشتمه بسبب ومن غير سبب وهو في سكونه لا يضطرب كأنما اوتيَ من حكمة الفلاسفة حظاً وافرا لاتغرس الاهانة في نفسه شجرة الحقد والبغض ، كما ان شتم الحكيم ظلماً لا يزيده الا عطفاً علَى شاتمه واستغفاراً له · غير ان الحكيم يتشبث بمبادئ الطيبة والرحمة لتصير له خلقاً ، ولكن هذا الفلاح الطيب لا يكلف نفسه التفكير الطويل في تطبيق تلك المبادئ بل هي في نفسه كانها طبيعة لايحاول كسبها

أرى عنوان ذلك الرجل الطيب في الفلاحين الاصحاء الذين لم يصل اليهم مرض الكذب والجبن ولم يقلب الحسد في نفوسهم احساس حفظ الوجود الخاص الى حقد دنيء وشهوة قاتلة

ارى الرجل الطيب حتى في المدينة في شخص ذلك الصانع الذي يظل نهاره يعمل، وروحه الموسيقية تجعله يغني من غير ملل ولا تعب ألحاناً مضبوطة وغير مضبوطة، ولكنها تزيد في سروره وطمأنينته · وهو لا يفكر كثيراً الا في أن يسكن الى زوجه بعد تعب النهار ليبكر الى عمله، راضياً من الحياة وسعة الزخرف بذلك القسم الضيق قسم القوت اليومي · وهو من الانفة والقناعة بحيث لا يورد نفسه مورد التعذيب · فلا يعللها بخيالات الغنى ولا اوهام كسب الجاه · بل لا يفكر أبداً في ان يجرّ وراء اسمه لقب بك او باشا · هذا هو الرجل الطيب الذي خلت نفسه من الشره وتجردت من الحسد ورضيت من الحياة بالحاضر كأنها نفس عرفت قيمة الحياة وانه ليس فيها ألذ من القيام بالواجب

أرى الرجل الطيب في ذلك التاجر يمضي النهار ولا يحلف بالطلاق على انه مغبون في صفقة البيع، ولا يجأر بصوت خبيث يستنزل غضب الله على جاره من غير سبب، ولا يختلف الى عرض صانه الحصان، ولا يبالغ في حب الكسب حتى يخرج من حدود الحلال الى مهواة الحرام · يظل في دكانه ينتظر كسبه بالطرق المشروعة راضياً من العيش بالسعي فيه على الوجوه المشروعه صامتاً او قارئاً او محادثاً من غير اكل لحم الناس والبحث عن ماضي كبار التجار وتتبع زلات الغير وسقطات الاقربين

ارى الرجل الطيب في الحاكم العادل الكفء لما يزاول من اعمال الحكم في القضاء والادارة، لا تسخره رفعة المنصب ولا يرم أنفه ان يعلم ما لا يعلم، ولا تأخذه العزة والغطرسة على خلق الله ولا تجري به اغراض الرقي الى مخازي الرذيلة من الملق والنفاق وظلم الضعيف ارضاءً للقوي · يعلم انه في مرسح لا يبقى الممثلون فيه الا ريثما يتم كلٌّ منهم دوره ثم يجيء الحق والحساب على الفضيلة والرذيلة

ارى الرجل الطيب في العالم المجتهد والكاتب لا يصده الادعاء عن التواضع، يفسح صدره لكل منتقد ولو ساء قصده، ويحتمل مع الصبر الانتقاص والشتم في

سبيل كلمة الحق ، و يدعو بالهداية والخير لمن يظنهم من امرهم ومبادئهم في ضلال . يفني نفسه طوعاً لخدمة الانسان ، و ينزل عن شهواته ولو سياسية الى مبادئ الحق والعدل ، و يروّض نفسه على الصراحة ولو اضرت بشخصه ، وعلى مقابلة السيئة بالحسنة ولو رُمي بالجبن والاستكانة . يعتقد ان الكتاب هم ورثة العلماء والاصفياء وقادة الرأي العام ، لا يحملون ضغناً ولا يأتون منكراً من القول وزوراً ، واذا مروا باللغو مروا كراما

اذا كنت اري الرجل الطيب في كل هؤلاء وهم طبقات العالم وجب عليّ ان اترك ما يفهم من نظريات « هوبس » من ان هذه الدار الدنيا دار حرب يجب ان تمشي في سياستها على نظرية حق الاقوى . بل اقول ان طبيعة الانسان هي السلام ، وما بواعث الحرب الا امراض اجتماعية تلحق جسم الانسانية فتطهّر بهذه الدماء التي تقطر على ظبا السيوف وهذه الاجساد التي تهتكها قنابل المدافع وتلك المدن التي تخربها ايدي الفاتحين . فاذا عاد مزاج الجمعية الى الاعتدال واعصابها الى السكون عادت الى اصولها الطيبة التي تظهر كما وصفت في جميع الطبقات . وانّ عدد الحروب في العالم لنراه يقل شيئاً فشيئاً . ولست الا شديد الوثوق بان الطيب يغلب الخبيث وتصل الانسانية الى كمالها الوجودي الممكن ، فيكون غالب الناس هو ذاك الرجل الطيب الذي لا تزدهيه القوة ولا يخمده الضعف . لا تسحره النعمة ولا يذهب بخلاله الفقر ، ولا يغتر بكونه الوقتي الذي مصيره للفساد

انما النفس الانسانية طاهرة باصلها فلا يتكلف الذي يريد ان يكون رجلاً طيباً الا ان يحاسب نفسه على الشر و يلفتها الى فعل الخير وانها بأصلها القدسي قابلة لان تشفى من امراض الغضب والحقد والحسد وتصير ينبوعاً غزيراً للمحبة ، تعرف كيف تحب العدو كما تحب الصديق

العاقبة للمتقين (١)

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »
(قرآن كريم)

الحق والباطل قوتان تتصارعان : غير ان الحق قوة حقيقية والباطل قوة وهمية، والوهم لايلبث ان يزول ويضمحل ، وتتزلزل برجاله الارض حتى تجعلهم كامس الدابر ، ويبقى الحق وحده وارثاً تلك الارض التي هي لله ، والله يورثها عباده الصالحين « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

تلك قاعدة اثبتها العقل وايدتها الشرائع السماوية والاصول العمرانية، لايشك فيها الا جاهل او متجاهل — اما ماتراه في بعض الاحايين من تغلب القوة الوهمية على الحق فذلك من الامور التي لا تدعو الى الرجوع عن ذلك الاعتقاد بتلك القاعدة الثابتة ، لان هذا التغلب هو امر موقت ، وهو مسبب عن اهمال رجال الحق او ضعف عارض لهم ، ومتى تنبهوا من غفلتهم واستجمعوا قوتهم فانهم يصرعون الباطل لامحالة مهما كانت قوته عظيمة

لاينتصر الباطل اذا وقف الحق في وجهه ، وانما ينتصر متى عرض للحق امر صدف به عن الوقوف تجاهه ، غير ان هذا الانتصار ينقلب انخذالاً مهما طال أمده متى التفت الحق ونظر اليه شزراً ، ورحم الله الاستاذ الامام حيث قال: « انما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

هذه مقدمة نقدمها للكلام على حالتنا الحاضرة — كان الحق قد تغافل برهة من

(١) كتبنا هذه المقالة والتي بعدها عند اشتداد الازمة قبل ان يدخل جيش الاتحاد والترقي الى دار السلطنة ونشرناها في جريدة لسان الاتحاد وننشرها اليوم في النبراس لتكونا كمقدمة لما سنشرحه للقراء عن الفتنة الاخيرة وذلك الفوز المبين للاتحاديين

الزمان لاتقل عن ثلاث وثلاثين سنة ، فكان الباطل يزداد وينمو ويعتو ويستبد الى ان بلغ السيل الزبي ووصل الخطب الى المنتهى ، فعند ذلك قام الحق من سنته وافاق من غفلته ، فرأى البطل وماهو عليه من الاستبداد والعتو فزأر زأرة أجفلت منها جيوش الظلم وفيالق الباطل ، ثم اغار عليهم حتى بدد شملهم وشتت مجتمعهم ، وقلب تلك الدولة البائدة من حكومة استبدادية الى دولة شوروية عادلة ، غير انه قد رأف بهم لما اقسموا يمين الاخلاص وعفا عنهم قبل ان يُتمّ عمله الجيد ، لكن قلوبهم لم تكن اهلاً لتلك الرأفة وليست مستحقة لذلك الحنان، لان القلوب التي تأصل فيها حب الاستبداد لاينجح فيها الا السيف واراقة الدماء

اخذ اولئك الزعانف المتقهقرون الذين عُفي عنهم بعد القدرة عليهم يؤلفون الجمعيات الفسادية ضد الحكومة الدستورية لانها كانت سبباً لمنع المنافع التي كانوا يتقاضونها من دماء الامة ، الى ان كان ما كان من اهاجة الرأي العام ضد القانون الاساسي والحكومة الدستورية وجمعية الاتحاد والترقي مخاصة الوطن من مخالب الظلم وتيار الاستبداد ، فلما رأت لجنة الجمعية في استانة ذلك اختفت لتدبير اعمالها ثم نقلت مركزها الى سلانيك ، وهناك استجمعت قوتها وزحفت على فروق « استنبول » لتفرقها شذر مذر ان لم تخضع للدستور المستمد من الشريعة المطهرة

ان الباطل اليوم لم يلبث قوياً كما لبث قبل ٢٤ من تموز الاخير ، وذلك لان الحق لم يغفل في هذه المرة كما غفل في المرة الاولى ، بل ظل متنبهاً يقظان يرقب كل من يريد ان يعبث بالدستور ، فلما رات انصاره ان هذه الجمعيات التي كثرت لاتريد خيراً بالبلاد عملوا على اسقاط نفوذها وتأييد جمعيتهم «جمعية الاتحاد والترقي» لانها وحدها هي الخادمة للامة والوطن العزيز بكل صدق واخلاص ، ثم لما تحققوا ان هذه الجمعيات الفسادية تُدار بايدٍ استبدادية وتُرشى بالاصفر الرنان لإحداث ثورة بقصد ارجاع الحكم الظالم الماضي ، وقد حصل ذلك بالفعل — تذكروا تلك اليمين العظيمة التي اقسموها

فحركت فيهم عاطفة المروءة والشهامة والغيرة على الوطن المحبوب، فاعادوا الكرة وتهيئوا للهجوم على مركز الظلم وعهود الاستبداد الا وهي استانة

زحفوا عليها، لان الظلام اعادوا الحكم المطلق — زحفوا عليها وسيوفهم بايديهم تنادي: لابد من قطع رقابكم ايها الخائنون، انكم لن تفلتوا من ايدينا ولن نعفو عنكم اليوم كما عفونا من قبل، اذ «لايلدغ المؤمن جحر مرتين». عفونا عنكم فانتقضتم علينا وقمتم ضدنا، واليوم يحرم علينا ان نعاملكم بغير تحطيم الرؤس وسحق النفوس — اننا اخذنا الحرية منذي قبل بالسلم واليوم نأخذها بالحرب لان الحرية الصحيحة لاتنال بغير اهراق الدماء، والحرية التي نأخذها اليوم بدمائنا وسيوفنا لانسلمها في الغد الا بعد ان تحطم هذه السيوف وتهرق تلك الدماء ونموت شهداء الامة والوطن والدستور والحرية:

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدمُ

فلينتظر المتقهقرون يوماً لاينفع فيه مال ولا بنون الا من كان حراً يريد بالامة الخير، وسيرون ان باطلهم لابد ان يزهق ويمحى «ان الباطل كان زهوقاً» والعاقبة للمتقين

الجمعية المحمدية (١)

«كلمة حق يراد بها باطل»

«الامام علي عليه السلام»

الدين وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم الى ما فيه صلاحهم في الدنيا والاخرة، وهو الواسطة الوحيدة لتهذيب الاخلاق وتقويم ما اعوجَّ منها، وهو المثال الحسن الذي يُحتذى به لانجاح المقاصد وتسديد المساعي، ولذلك جعلت دولتنا

(١) كتبناها بياناً لحال هذه الجمعية الغاوية التي انتحلت هذا الاسم الشريف تنفيذاً لمآربها الفسادية

العلية العثمانية ايدها الله بروح منه الدين اساساً لاعمالها ، ونبراساً تستضيء به في مشروعاتها ، وقد صرحت بذلك في المادة الحادية عشرة من القانون الاساسي الذي أُعيد العمل به بهمة جمعية الاتحاد والترقي ونشاط الجيش المظفر

وكان هذا القانون مطموساً بايدي المستبدين منذ ثلاث وثلاثين سنة، فلما رأى اهل العدل والغيرة على الوطن ان الامة لا ترقى ولا تنجح الا بالعدل والحرية واقامة احكام الشريعة عملت على ارجاع القانون الاساسي ليعمل به لان فيه خير ما ترجوه الامة من السعادة والخير لاستناده على الاصول الشرعية الطاهرة

غير ان هذا العمل المبارك لم يرقْ في اعين الظلاّم المستبدين فاخذوا يؤلفون الجمعيات باسماء مختلفة طوراً باسم الجنسيات وطوراً باسم الاحرار وطوراً باسم الوطنية فلما رأوا ان مسعاهم خائب لا يجدي نفعاً انتحلوا اسم الدين والفوا جمعية دينية سموها « الجمعية المحمدية » لعلمهم ان هذا الاسم هو انجح وسيلة يصطادون بها عقول البسطاء والعامة ، وقد كان ما ارادوا ، وان بحثت عن رؤسائها تجد انهم ممن أُسقطوا بارتفاع الدستور ، ومُنع عنهم المال الذي كانوا يتقاضونه سحتاً باسم السكوت او الجاسوسية او غير ذلك ، وقد انضم اليهم بعض طلبة العلم الذين طُلب منهم الامتحان حسب الاصول المشروعة ، ثم انضم اليهم كثير من العامة والغوغاء على قاعدة « هات المفتاح » وهاجوا باسم الشريعة المطهرة طالبين اسقاط الدستور وجمعية الاتحاد والترقي، فكان ما كان مما عرفه الخاص والعام ، غير ان هياجهم هذا قد عاد عليهم بالويل ، فقد نصر الله الحق وخذل المتلبسين باسم الدين وهم لا يريدون الاّ الافساد بواسطة هذا الاسم الطاهر

ماذا تطلب هذه الجمعية ؟ أتطلبُ الشريعة ؟ وان القانون الاساسي يصرح بان الدين الرسمي للدولة هو دين الاسلام اي فلا يُعمل بما يخالفه ، ام تطلب بذلك غاية سيئة بالبلاد لتوقعها في الفوضى ؟

— اجلْ ليس لها من غرض سوى ذلك — وقد ظهرت غاياتها ظهور الشمس في

رابعة النهار ، والدليل على ذلك انها تطلب اقفال مجلس الشورى « المبعوثان » مع ان الدين يأمر به ، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام « وشاورهم في الامر » وقال : « وامرهم شورى بينهم » ولم تكتف بهـذا الطلب بل اراقت الدماء الطاهرة في هذه السبيل ، واحدثت تلك الفتنة التي تطاير شرها الى كثير من البلاد العثمانية في حين ان جمعية الاتحاد والترقي قد احدثت تلك الثورة السلمية في ٢٤ سن تموز لاجل اعادة الشورى التي امر بها القرآن الكريم ، والآن هاجت وزحفت بجيوشها على استانة لان المستبدين يريدون محو الشورى وارجاع الحكم المطلق الاستبدادي . فمن هو متعصب للدين يا ترى ؟ الجمعية التي انتحلت اسم الدين لمآربها الفاسدة وهي تريد ان تعمل امراً مخالفاً للدين ؟ ام جمعية الاتحاد والترقي التي غايتها توطيد دعائم العدل والحرية والشورى التي يوجبها الدين ؟

هذا ولما ادرك ناظر الداخلية ان هذا الإفساد مسبب عن هذه الجمعية الفسادية التي تُدار بايدي الاستبداد لإرجاع الدور الماضي الظالم اصدر امراً لجميع الولايات العثمانية وملحقاتها والمتصرفيات بان تشتت الحكومة بالقوة شملها وتفرّق رجالها انّى وجدوا ، وفي اي مكان ثُقفوا

فاتقوا الله ايها المفسدون ولا تدعوا الاغراض النفسية السافلة والاصفر الرنان تستولي على وجدانكم وعقولكم ، واربأ بنفسك ايها الشعب العثماني الطاهر ان تنقاد لترهات المفسدين ، وافك الافاكين ، فالحق لابد ان يعلو « ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين »

هذا ما كتبناه في جريدة لسان الاتحاد . واليك الآن ما اطلعنا عليه بعد ذلك مما نشرته الجمعية العلمية الاسلامية في دار السلطنة وطرابزون تحذيراً من تلك الجمعية الفسادية ، وتنبيهاً للناس عن الركون الى ارباب الفتن التي يقصد بها اماتة الشورى وارجاع الحكم الاستبدادي البائد

منشوران للجمعية العلمية الاسلامية

في استانة

بعد ان تألفت الجمعية الفسادية التي سمت نفسها «الجمعية المحمدية» ظلماً وبهتاناً وحرّضت السلطان على اقفال مجلس المبعوثان وارجاع الحكم المطلق بواسطة جريدة « وولقان » نشرت الجمعية العلمية الاسلامية المنشور الآتي نثبته مع المنشور الثاني حسب ترجمة « الاتحاد العثماني » ، وهو :

نشرت جريدة « ولقان » في عدد ١ نيسان سنة ١٣٢٥ مكتوباً مفتوحاً الى جلالة السلطان عبد الحميد جاء فيه هذه العبارة « انك قادر الآن على رفع الحكم الدستوري وقفل مجلس النواب بيدك السلطانية »

واذ كانت النصوص القرآنية والاحاديث النبوية كلها تثبت الامر بالشورى وادارة الاحكام على ما يفعله مجلس النواب الوكيل عن الامة لهذا العهد ، فيجب على كل مسلم وكل عثماني المحافظة على بقاء الحكم الشوروي ومراعاة احكام القانون الاساسي الذي يضمن سعادة الامة والوطن ، وان عدم العمل بهذا القانون يعرض المملكة لفتنة عظيمة محققة يجعلها هدفاً لتعرض الاعداء

ان اطاعة الامر السلطاني مقيدة فيما اذا كان الامر مشروعاً ، واما اذا خالف الشرع فلاتجوز اطاعته ، وانا على يقين من ان الجنود الذين اقسموا يمين المحافظة على القانون الاساسي يحافظون مع المنتسبين الى العلم على يمينهم و يفدون ارواحهم اذا رأوا ادنى تعرض لازالة الحكم الدستوري

وعليهِ فان الجملة التي نشرتها جريدة « وولقان » عديمة الاهمية على ان جلالة السلطان الذي اقسم اليمين على المحافظة على القانون الاساسي لايمكن ان يحنث بيمينه اه

(النبراس) قد حنث وأثار الثائرة لشهوته الاستبدادية ولهذا قد خلعته الامة

ثم نشرت هذه الجمعية منشوراً آخر بعد ان وقعت الفتنة وهرب بعض نواب مجلس الامة واستقال آخرون وهو هذا :

اتصل بنا ان بعض النواب ينوون الاستقالة من مناصبهم خوفاً على حياتهم ، وان الاهلين يتوقعون عود زمان الاستبداد ، وعليه فان الجمعية العلمية الاسلامية التي لا تتردد مقدار ذرة في كون الحكم الدستوري موافقاً لاحكام الشرع الاسلامي والتي لم تنس حتى الآن احراق الكتب الاسلامية في المواقد في زمن الدستور المنصرم ، قد عزمت على بذل جميع المساعي في سبيل المحافظة على الحكم الدستوري ، وانها تعد بذل الحياة في المحافظة عليه من جملة الفرائض الدينية ، وهي تعتبر كل مبعوث يستقيل بعد الآن او يتصدى للفرار خائناً للوطن والامة ، سواء كان ذلك المبعوث مسلماً او غير مسلم ، كما انها تعتبر المستقيلين والفارين قبل البيان مستعجلين ، ولذلك تطلب من جميع اعضاء المجلس ان يواظبوا على ايفاء وظائفهم ضمن دائرة العدل والحق والاستقامة وتعرفهم ان الامة كلها ظهيرة لهم تدعو لهم بالتوفيق

وانا لنرجو من اولادنا الجنود ان يحافظوا على السكون والطاعة و يعملوا بنصائح علماء الشريعة ، جعلهم الله مظهراً لسلامة الوطن في الدنيا والآخرة «الجمعية العلمية الاسلامية»

وقد كان لهذا المنشور وقع عظيم في جميع نفوس العقلاء في الاستانة ، وكان الثناء يردد في كل لسان على هؤلاء العلماء الافاضل اعضاء الجمعية الاسلامية ، حتى انه ورد عليهم كثير من رسائل الشكر والامتنان ، حتى ان الهيئة التحريرية في جريدة «صباح» كتبت مقالة ضمنتها اجمل جمل الاحترام لهذه الجمعية التي عرفت حقيقة معنى الدين الاسلامي الذي يأمر بالشورى ، واكبرت الجمل التي قالت فيها انها ستحافظ على الحكم الدستوري المطابق للشرع الشريف وانها تعد بذل الحياة في سبيل المحافظة عليه من جملة الفرائض الدينية قائلة : هكذا الحمية . هكذا الوطنية

هكذا الشرف . هكذا العلم والعلماء . هكذا الدين .

ومن احاسن الجمل التي قالتها الهيئة التحريرية في «صباح» في الثناء على منشور الجمعية قولها:

ان الدور الاستبدادي منع الشكر علناً لله عز شأنه ، وجعل تلاوة بعض الآيات القرآنية في الصلوات الخمس بل اكثرها سبباً للنفي والابعاد ، وجعل المواقد طعمة لانفع الكتب الاسلامية التي كانت تملأ بها العجلات وتساق الى مواقد النيران ، كما كان يفعل في الاندلس التي يذكر العالم المتمدن حرق الكتب بها بكل نفرة

ان الدور الاستبدادي منع الجمعيات التي تجتمع لتلاوة القرآن وعدّ الاجتماعات في مواسم الموالد وامثالها من الاجتماعات المضرة ، ومنع تهنئة الحجاج بحجهم ، وحجر على التفاسير القرآنية وحجر على اداء الصلوات جماعة ، وحرم العامة من الاجتماع بالعلماء ، وجعل وعظ الواعظ من اكبر المخاطر

ثم شاركت الهيئة التحريرية في صباح هذه الجمعية الاسلامية في قولها « انها تعتبر كل مبعوث يستقيل بعد الآن او يتصدى للفرار خائناً للوطن والامة سواء كان ذلك المبعوث مسلماً او غير مسلم »

وزادت عليه بان الجرائد تجتهد لجاب اللعنات على المستقيل بقدر استطاعتها وانها تأخذ ذلك عَلَى عهدتها الى ان تسقطه من الهيئة الاجتماعية

الجمعية العلمية الاسلامية

في طرابزون

ارسلت هذه الجمعية رسالة برقية تركية العبارة الى فضيلة مفتي بيروت هذه ترجمتها :

ورد في التلغراف الذي اخذناه اليوم (١٤ نيسان) من المركز العمومي للجمعية العلمية في الاستانة ماموءداه :

علمنا ان فريقاً من طلبة العلم ذهبوا الى الخارج قبل ان يقفوا على حقائق الامور

مدفوعين بدافع الوساوس الهياجية التي هيج بها بعض المفسدين ظلبة العلم والاهالي المسلمين، وبما تنشره بعض الجرائد من الامور المخالفة للحقيقة مع ان الجيش الذي جاء الاستانة بقصد المحافظة على الدولة والامة قد نشر بيانات رسمية يبين فيها انه يحترم العلماء والطلبة الذين هم روح المملكة ويقول فيها : انه يرجو من الاهالي العثمانيين باسم سلامة جميع الامة بان لايدعوا مجالاً لفصم عرى الائتلاف بين المسلمين والمسيحيين وان لا يعيروا سمعاً للاراجيف المحتمل ان تظهر من المفسدين الذين ذهبوا الى الخارج متزيين بزى العلماء قبل ان يعلموا حقيقة الحال

ان بيانات الجمعية العلمية الاسلامية في الاستانة ومقررات مجلس النواب وخطة الحكومة الدستورية تفيد كلها ان الآراء جمعاء اتفقت على تأييد الحكم الدستوري

ومعلوم ان الحكم الدستوري وضعت اصوله في زمن السعادة (اي زمن النبي صلى الله عليه وسلم) ثم سار عليه الخلفاء الراشدون بكل اعتناء، وعليه فان الحكم الدستوري قائم بمجلسنا النيابي المشيد على ذلك الاساس ودائم بوجوده تحت ضمان ومحافظة جميع الامة العثمانية

ان الحكم الدستوري أقيم لاجل اقامة العدل ، ان الشريعة هي عنوان العدل، ان الشريعة تأمر بالعدل ، ان الذي يحب العدالة يحب الدستور ، ومن لايحبها لايحبه

ان اتفاق جميع الامة على نقطة المحافظة على الحكم المشروط المشروع لاتوئثر فيه الارادات المخالفة له مهما كان ظاهرها مزخرفاً ومموهاً ، اذ انها عبارة عن افسادات ، فيجب ان لا تعتمدوا على ورودها لان كل عدو للحكم الدستوري هو عدو للوطن

ان مملكتنا وولاياتنا متألفة منذ الاعصر النائية من عناصر مختلفة فيجب معاشرتهم بكمال الادب والرعاية حسب اوامر الشريعة المطهرة وتجب زيادة الرعاية والاحترام في هذا الزمن المعلوم اهميته، وكل من يسير على خلاف هذا الامر فهو عاص لله وغير ممتثل لاوامر نبينا ، بل يكون اهان العالم الاسلامي وجميع العثمانيين والسلام

نائب طرابزون	مفتي	مدرس	مدرس
نائلي	احمد	وفيق	محمد

فذيلها المفتي بقوله : اقول : ان ماجاء في هذا البيان من وجوب معاشرة جميع الناس بكمال الرعاية والادب امر يحض عليه الدين، وان الدستور موافق لاحكام الشرع الشريف الآمر بالشورى وبترك الاستبداد واقامة قسطاس العدل بلا تمييز في الجنس والمذهب ولا فرق في المقامات والرتب

مفتي بيروت : مصطفى نجا

فتنة استانة الاخيرة

والاحزاب في المملكة العثمانية

بعد ان اعلنت جمعية الاتحاد والترقي الدستور بواسطة الجيش نهضت الامة العثمانية من رقدتها ، وتنبهت من غفلتها ، واخذت تفكّر فيما تعمله لترجع مجدها الغابر وعزّها الفائت ، حتى تكون في درجة الدول العظمى ، وفي عداد الامم الراقية، وبينما كان قسم عظيم يفكّر في ذلك كان هناك قسم اعظم من الرجعيين المتقهقرين يفكرون في ارجاع الامة الى ما كانت عليه في الدور الماضي البائد ، وذلك لان الدور الجديد اسقطهم من اوج مجدهم الى الحضيض، ومنع عنهم تلك الاموال الطائلة التي كانوا يتناولونها باسم الجاسوسية والمراقبة وغير ذلك من الاسباب السافلة التي لا يرضى بها ذو مروءة وشهامة وشرف

— اخذ اولئك الزعانف المتقهقرون يبثون الدسائس ، ويلقون العثرات امام الدستور فلم ينجحوا، فلما رأوا خيبة مسعاهم ابتدأوا يؤلفون الجمعيات الجنسية والسياسة لمضادة جمعية الاتحاد والترقي مخاصة الوطن، ودعوا الناس الى ترك الاخاء العثماني العام والتمسك بالجنسيات والدعوة الى العصبيات وان قال الرسول: « ليس منا من دعا الى عصبية » غير ان سعيهم كان في ضلال لان العثمانيين لا يختلفون بعد ان اتفقوا

اول جمعية قامت في استانة تدعو الناس الى سياسة خرقاء جمعية تسمي نفسها «جمعية الاحرار» وليست من الحرية على شيء، وانما هي شرٌ بحت لان مبدأها فيه خراب الدولة وتمزيق المملكة ، الا وهو استقلال الولايات الذي لا يقول بهِ عاقل قبل ان تكون الدولة دستورية مائة سنة على الاقل .

أُلفت هذه الجمعية من نفرٍ اختصموا مع جمعية الاتحاد والترقي على بعض آراء وافكار منافية لمبدإ هذه الجمعية المقدسة فخرجوا اوأُخرجوا منها وأَلفوا تلك الجمعية من

اعضاء متقهقرين سقطوا باعلاء الدستور ومن قوم سعوا لنوال الوظائف فلم يحصلوا عليها ، واخذت هذه الجمعية تناهض الجمعية الاتحادية وتقاومها وتطعن فيها وكانت الجرائد الميالة اليها جريدة « سر بستي ويني غزته واقدام وميزان وحقوق عموميه » ثم انضم الى هذه الجمعية كامل باشا الصدر الاسبق وصار يناوئ جمعية الاتحاد والترقي ويصارحها العداوة الى ان عزل بعض المنتسبين اليها من وظائفهم فعند ذلك ثارت ثائرة هذه الجمعية وعملت على اسقاطه عن منصب الصدارة ، فلم يرقْ هذا العمل في اعين حزب الاحرار ، فازدادت عداوتهم للاتحادين واخذوا يضمرون لهم السوء ، وزاد اهياجهم وحقدهم بعدان قتل رئيس تحرير جريدة «سر بستي» لانهم نسبوا قتله لاحد افراد الجمعية الاتحادية بايعاز منها ، ولم يجدوا وسيلة ينقمون بها عليهم الا ان يهيجوا الرأي العام ضدهم ، والرأي العام لا يهيج الا باسم الدين فسعوا بتأليف جمعية سموها « الجمعية الحميدية[1] » وقد انضم الى هذه الجمعية قسم عظيم في استانة حتى من غير المسلمين وهم الذين لهم مطالب يرجون نيلها كالارمن ، وقد افسدت هذه عساكر استانة وحرّضتهم على الثورة طلباً للشريعة المطهرة ، وهي « كلمة حق أُريد بها باطل »

وقد ثبت ان الساعي بتأليف هذا الحزب المحمدي هو جمعية الاحرار التي انحازت الى عبد الحميد السلطان السابق وصارت تتلقى الاوامر من عنده ، وكان قبل ذلك قد استجلب من امواله المودعة في مصارف اوروبا مليوني ليرة ثم استجلب مليونين غيرها ، فوزع الاموال على رؤساء الاحزاب واعطاهم اموالاً غيرها ليوزّعوها على الرجال المهيئين للثورة من الجند والاهلين واعضاء جمعية الاحرار والجمعية المحمدية ، فثار الجند وتبعتهم الاهالي بتحريض هاتين الجمعيتين ، وهبوا جميعاً للفتك بالاتحاديين والقضاء عليهم

اجمعوا امرهم عشاءً فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاءُ

(١) غلط مرتّب الاحرف فوضع مكان المحمدية (الحميدية) وهي غلطة في محلها لان عبد الحميد هو الذي ألفها بايعاز منه فاجدر بها ان تنسب اليه فلهذا ابقيناها على حالها لمكان الحكمة

اسباب الفتنة

ان الجمعية الاتحادية لم تخطئ الا في اشياء معلومة منها ابقاء كثير من المأمورين الخائنين في وظائفهم ، وهم الذين يعملون لمنفعة انفسهم ومنفعة السلطان وان اضرَّ ذلك بمجموع الامة . وان ابقاءها عليهم كان رحمة منها بهم واشفاقاً عليهم ، لانها رضيت منهم بالقسم على المحافظة على الدستور ، غير ناظرة الى ان النفوس التي اعتادت عوائد الرشوة والاستبداد والظلم لايمكن ان تنزع ذلك من طباعها حتى توارى في في ثرى رمسها

ظل هؤلاء الخائنون يترقبون الفرص ويتحيّنون السوانح ليروا وسيلة يتمكنون بها من قلب الدستور وارجاع الحكم المطلق الاستبدادي الذي كانوا فيه رؤساء الامر والنهي

ان المابين كان قبل اعلان القانون الاساسي مصدر الجاسوسية وخراب الدولة ولم يزل كذلك بعد اعلانه ، لان يد السلطان عبد الحميد لم تزل ممدودة اليه بالاحسان سرًّا ، ولان كثيراً من رجاله اليوم كانوا رجاله بالامس ، فاتفقوا مع السلطان على ارجاع الدور الماضي وعملوا لذلك كل وسيلة — ارسلوا الوفود الى الولايات والملحقات والقرى لاجل الافساد وايقاع الشقاق بين الاهلين تارة باسم الجنسية وتارة باسم الدين — الفوا الجمعيات الكثيرة الداعية الى ذلك ، وكانت طائفة من الاحرار قد انفصلت عن الاتحاديين والفت حزباً سياسياً خاصاً باسم «جمعية الاحرار» يدعون الى سياسة تخالف سياسة الاتحاد والترقي فانضمَّ اليهم المأمورون الساقطون والمأمورون الذين اوشكوا ان يسقطوا وكثير من رجال المابين وما زالوا بهم حتى جعلوهم حزباً سلطانياً ورشوهم بالاصفر الرنان ، ثم سعى هذا الحزب بالاتفاق مع السلطان عبد الحميد على تأليف حزب باسم الدين فكان كما ارادوا والفوا جمعية «الاتحاد المحمدي» من الجهلة المتعممين الذين لايعرفون للدين معنى ولامغزى ، بل هم بهائم تحت عمائم ، غير ان جمعية العلماء الاسلامية في استانة وطرابزون وغيرهما من المدن الاسلامية نشرت منشورات كثيرة

ضد هذه الجمعية الفسادية التي قامت بامر غير مشروع ، وحذرت الناس من الاغترار باقوالها او الميل اليها

انتشرت هذه الجمعية الفسادية وغرّها السحت من المال ، واخذت بالتقرب من حامية استانة حتى افسدت كثيراً من عساكرها باسم الدين وضمت اليها كثيراً من العامة والرعاع ، ثم تلقت الاوامر « العالية » بارسال الوفود الى الولايات واستمالة الناس الى الحكم القديم ، وايجاد الافساد والشقاق بين عناصر الاهلين ومذاهبهم حتى يكون ذلك وسيلة لارجاع الحكم المطلق على زعمهم ، وهكذا قد كان ، فقد اشتعلت نيران الثورة في دار السلطنة وكان منشاؤها من العساكر الذين افسدتهم الجمعية الفسادية التي قامت باسم الدين والدين منها براء ، وقد أعطي لكل جندي ماقيمته ثلاثون ذهباً من نقودٍ واوراق مالية ، وقد شوهدت تلك النقود في اكياسهم ، حتى انهم كانوا يتسائلون عن الاوراق المالية أهي تحتوي على اموال فيما لو ارادوا بيعها ؟

ثارت الجنود طالبة اقامة الشريعة واهرقت الدماء البريئة ، ويذكر قراء النبراس انا قد تشائمنا شراً في العدد الماضي من هذه الجمعية وقبحنا هذا العمل الذي ترجو من وراءه ارجاع الامة الى حالة التقهقر والاستبداد واعادة سلطة الفرد وابطال الشورى وقد تحقق هذا التشائم وحصل من جراء اغراضها النفسية ما حصل

ان لهذه الجمعية جريدة تسمى « وولقان » وهي التي خاطبت عبد الحميد في احد اعدادها بهذه العبارة : « انك قادر على اقفال مجلس الشورى « المبعوثان » فأقفله بيدك » تقول هذا القول وهي لسان الجمعية التي تسمي نفسها « الجمعية المحمدية » مع ان الله اوجب الشورى على اشرف المخلوقين محمد عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى خطاباً له : « وشاورهم في الامر » وقال : « وامرهم شورى بينهم » غير ان الاصفر الرنان يدعو المرء السافل الى مخالفة الوجدان والدين وبيع الامة والوطن وتخريب البلاد واهلاك العباد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ثار الجنود الخائنون الذين باعوا شرفهم ووطنهم بالمال وقتلوا كثيراً من ضباطهم الذين لم يجاروهم على عملهم المنكر ،وانضم اليهم قسم من رعاع الاهالي وجمعية الاحرار والجمعية الفسادية وذهبوا الى مجلس الأُمة « المبعوثان » وهم ينادون بطلب الشريعة واسقاط حلمي باشا الصدر الاعظم واحمد رضا بك رئيس المبعوثان وغيرهما ، واي علاقة لطلب الشريعة بهذا ؟ فلما وصلوا صادفوا اذ ذاك المرحوم الامير محمد ارسلان فاغتالوه بايديهم الاثيمة ، ثم اغتالوا ناظم باشا ناظر العدلية واطلقوا الرصاص على رضا باشا ناظر الحربية فجرحوه في فخذه، واخذوا يبحثون عن حسين جاهد بك احد اعضاء المجلس ورئيس تحرير جريدة « طنين » وعن احمد رضا بك رئيس المجلس وعن غيرهم من اعضاء الجمعية ، فلما رأَوا ان الموقف حرج اختفوا عن العيون ، ثم ذهب الموكب مارًّا بالاسواق داعياً للسلطان بالحياة الكثيرة والدوام على عرش السلطنة « غير ان دعاءهم ذهب ادراج الرياح »ثم هدموا نادي الجمعية وادارتي جريدتي «طنين وشوراى امت» ونهبوا ما فيهما ، وقد هجموا على المدرسة الحربية ليقتلوا من فيها من التلامذة كما قتلوا كثيراً من الضباط المتخرجين من المكاتب

ثم ذهبوا الى قصر «يلدز »فاطلَّ عليهم عبد الحميد وقال لهم : يا اولادي ٠٠٠٠ واجاب مطالبهم ، ثم اصدر امرًا بالعفو عنهم « بالطبع لانه هو المحرّض لهم على هذا العمل المنكر »

اما اعضاء جمعية الاتحاد والترقي فكان اختفاؤُهم لامرٍ عظيم لا كما ظن المنقهقرون من انهم قُضي عليهم فلا تقوم لهم قائمة بعد ، فان هذا الاختفاء كان وراءه قلب الدولة واسقاط السلطان الجائر الذي يريد خراب المملكة واليك الاجمال :

اختفت الجمعية عن العيون في استانة ولكنها اخبرت جمعية سلانيك ورؤساء الجيش بما قد حصل ، ثم اقسموا اليمين جميعاً على انهم متى تمكنوا من اعادة الشورى التي يريد محوها الظالمون فلا بدَّ من خلع عبد الحميد لانه حنث بيمينه وخان ما عاهد

الله والامة والوطن عليه

اجتمعت الجموع من العساكر الدستورية وساروا زاحفين على استانة ليوقعوا بالمستبدين ويهلكوا الخائنين، فاستولوا على جميع المواقع العسكرية والحصون التي هي في طريقهم الى ان دخلوا دار الفاسقين بقيادة محمود شوكت باشا الفاروقي العربي البغدادي ونيازي بك وانور بك بطلي الدستور الشهيرين ، فسالموا من سالمهم وحاربوا من حاربهم وقد اطلقوا المدافع على عدة مواقع في استانبول وهدموها لمقاومتها اياهم ، ثم حاصرت جنود الاتحاد والترقي قصر يلدز الى ان دخلوه حرباً وقبضوا على الظالم الكبير

قبل الفوز والخلع

لما بلغ المابين وساكن (يلدز) واهالي استانة ذلك الخبر الهائل خبر زحف الجنود الدستورية وقع الرعب في قلوبهم ، واستولى الخوف عليهم ، فارسلت حكومة قسطنطينية اليهم الاخبار بالتوقف عن الزحف واجابة مطالبهم ، وقد زاد القلق فيهم الانباء البرقية المرسلة من الولايات والملحقات بالاحتجاج على الثورة الاخيرة المقصود بها هدم الدستور وارجاع الحكم الاستبدادي ، وقد هددتهم الولايات بالزحف على دار السلطنة مع الفيالق العسكرية لتأييد جنود الاتحاد والترقي وهدم استانة وجعلها قاعاً صفصفاً

ارسل المابين للوساطة طائفة من النواب فرجعوا خائبين ، لان الجيش قال : نحن لانطلب وعوداً واوراقاً ، وانما نطلب قطع رؤوس المتقهقرين وابادتهم عن بكرة ابيهم

ثم اجتمع مجلس المبعوثان في (ستفانو) وكانت جلستهم جلسة تاريخية وقد بلغ اعضاؤها زهاء مائة عضو ، وكانت برآسة طلعت بك الرئيس الثاني لمجلس الامة وكانت جنود الجيش الدستوري الاتحادي الزاحف تحرسها في خارج النادي ، ولما كانوا في اثناء الجلسة بلغهم مجيء احمد رضا بك وظهوره بعد اختفائه فخرج قسم منهم لملاقاته وعانقوه وبكوا على ما اصابهم ، ثم اجلسوه على كرسي الرآسة فوقف فيهم خطيباً وقال :

رصفائي الاعزاء

اني اشكر ما اظهرتموه لي من مظاهر الود الخالص في هذا الاستقبال ، وقد أُفعم قلبي فرحاً غير ان الوقت لا يسمح لي بان أعرب لكم عن كل ما يخالج قلبي من الامتنان وستأتي الساعة التي نتمكن بها من فتح دفاتر مذاكراتنا لنقصَّ على بعضنا مالاقيناه من المحن والبلايا . اما الان فهو وقت العمل لان الوطن يجتاز ازمة شديدة كما تعلمون وهو في حاجة الى ان نكرّس له كل اوقاتنا . وقد رأيتم الحالة التي اوصلنا اليها بعض اللئام المفسدين

اما الان فبفضل الجند قدعدنا الى وطننا ومهمتنا ولم يبقَ من سبيل للخوف من هؤلاء

انَّ الضرر قد أتى من الجيش وهو يصلحه الان ، وقد ورد في المثل: « لا يفلُّ الحديد الا الحديد » واني واثق أننا بعون الله سنعود الى الاجتماع في المكان الذي اجتمعنا فيه حتى الان

واني اكرر عليكم ما سبق لي ايضاحه حينما اجتمعت فيكم في (بيازيد) وأؤكد لكم انه منذ يوم اكرهت على ترك رئاستكم وانا اسعى بتوطيد اركان الدستور وجعله في حرز حريز، ذلك الدستور الذي كرست في سبيله عشرين سنة من حياتي واقسم لكم اني لم اشكَّ دقيقة قط بنجاح الدستور ، وسنحصر بحثنا الان فيه ، لكن ينبغي ان نعجّل بقراراتنا ، ويجب ان نُعمِل فيها الروية ونتذرَّع بصبر الاسود ، وبفضل هذا الصبر نتمكن من اتيان عمل مفيد مضمون البقاء .

ثم خرج من الجلسة غير اعضائها ، وقد تذاكروا في شؤون سرية انجت دعوة مجلس الاعيان للمذاكرة في الحالة الحاضرة

وكان قد اجتمع مجلس الاعيان برآسة سعيد باشا في (سان ستفانو) اجتماعاً سرّياً تقرر فيه قبول ما يطلبه قائد العساكر الدستورية التي حضرت من الروم ايلي والغاء كل ما جرى في مجلس المبعوثان بعد استعفاء احمد رضا بك

ثم تألف في استانة مجلس عمومي سُمي « مجلس الامة العمومي » وهو مؤلف من اعضاء مجلس المبعوثان والاعيان ، وقد اجتمع في « اياستفانوس » وبحث في مطالب الجيش ، ثم قرّر ما يأتي وارسله الى جميع الولايات :

« ان البيان المدرج ادناه والذي قُبل باتفاق الآراء في مجلس الامة العمومي قد أُبلغ اليكم لتبادروا باعلانه حالاً وهو :

« في الساعة الثامنة والنصف من نهار الخميس في ٩ من نيسان ش سنة ١٣٢٥ عقد المجلس العمومي للامة المؤلف من اعضاء مجلس المبعوثان والاعيان اجتماعاً سرياً فقرّر باتفاق الآراء ما يأتي :

« استصوب المجلس العمومي محتويات البيان الذي نشره الفيلق الزاحف وهو تأديب مسببي الفتنة ضمن دائرة الاحكام الشرعية والقانونية ، واعادة الامن ، وتثبيت الدستور تثبيتاً متيناً ، وقمع ماظهر من الاستبداد المسبب عن الضربة المؤلمة التي اصابت الدستور العثماني ، والتي بُدئ بها في استانة يوم الثلاثاء في ٣١ من مارت سنة ٣٢٥

ولا ريب ان مطاليب الفيالق هي موافقة لآمال الامة ، ولهذا فمن الواجب على الجميع ان يخضعوا لها ، ومن يخالفها يكنْ مسؤولاً ومعاقباً على كل حال

في ٩ من نيسان سنة ٣٢٥ مجلس الامة العمومي

ثم زحف الجيش ودخل قسطنطينية بعد ان قاوم من قاومه وسالم من سالمه الى ان استولى على يلدز بعد ان دافعت حاميتها قريباً من اربع ساعات وعلمت ان الفشل حليفها ، وقد اعلنت الاحكام العرفية بعد موافقة مجلس الامة العمومي وشُرع بإعدام الفسادين

خلع عبد الحميد

ثم جرت المخابرات بشأن تنازل عبد الحميد او خلعه ، فاصدر شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي فتوى بجواز احد الامرين بناءً على سيئاته الكثيرة وحنثه بيمينهِ وسعيه لقتل النفوس البريئة خصوصاً في الفتنة الاخيرة التي دُبرت بايعازه وصرف الاموال

لاجلها، ولانهُ خالف الشريعة المطهرة رغبة منه بارجاع الحكم المطلق، وإبطال الدستور، فالتأم مجلس الامة العمومي واختار احد شقي الفتوى وهو الخلع ، وهـذا نص التلغراف المرسل الى الولايات بهذا الشان :

عن الباب العالي الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ (نهاراً) مستعجل جداً

الى عموم الولايات :

في الساعة السادسة والنصف من نهار الثلاثاء سابع ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ الموافق لليوم الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٣٢٥ اجتمع مجلس الامة العمومي المؤلف من مجلسي الاعيان والمبعوثان ، وقرئت الفتوى الصادرة من شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي والمذيّلة بامضاءه ، وهي تحتوي على شقّين فرُجّح منهما الخلع بالاتفاق وبالادلة الراجحة ، فأُسقط السلطان عبد الحميد عن عرش الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية ، ونُوديَ بحضرة وليّ العهد المشروع محمد رشاد افندي سلطاناً على مقام الخلافة والسلطنة باسم « السلطان محمد الخامس » فينبغي ان تعلنوا هذا الجلوس السلطاني باطلاق مائة مدفع ومدفع من المواقع المعتادة ، ولذلك اقتضى تبليغكم

في ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ — الصدر الاعظم

وفي ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ — توفيق

وقد جاء في فتوى شيخ الاسلام بخلعه انه عبث بالكتب الدينية المطهرة وسفك دماء الابرياء وبدّد ثروة الامة ، ولما تليت الفتوى في المجلس صاحوا قائلين : «ليخلع عبد الحميد ليخلع عبد الحميد» وهذه ترجمة الفتوى بالحرف نقلاً عن الاتحاد العثماني

فتوى الخلع

اذا كان زيد امام المسلمين طوى واخرج من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الدينية ومنع الكتب المذكورة وخرق حرمتها واحرقها ، وتصرف في بيت المال بالتبذير والاسراف بغير مسوغ شرعي وقتل وحبس وغرّب الرعية بلا سبب شرعي وتعود على جميع المظالم ثم خلف اليمين على الرجوع الى الصلاح وعاهد على ذلك ثم حنث في يمينه واصرّ على احداث فتنة عظيمة وايقاع مقاتلة يجعل بها أمور المسلمين مختلة اختلالاً كلياً ثم وردت اخبار متوالية من جهات متعددة من

بلاد المسلمين يقولون بها : ان زيداً المزبور تغلب على منعة المسلمين وانهم لذلك يعتبرونه مخلوعاً ثم لوحظ ان بقاء زيد المذكور فيه ضرر محقق وفي زواله صلاح فهل يجب على ارباب الحل والعقد تكليف زيد المذكور ان يتنازل عن الامامة والسلطنة او يخلع منهما وهل لهم ترجيح احدى الصورتين ؟ ؟

كتبه الفقير

الجواب : نعم

السيد محمد ضياء الدين

عفي عنه

كيفية الخلع

اما كيفية الخلع فبعد ان اقرَّ المجلس باجماع الآراء على وجوب خلعه للاسباب المتقدمة التي لا يمكن دحضها انتدب ستة من اعضائهِ لابلاغ عبد الحميد هذا الحكم الصادر من مجلس الامة العمومي باسقاطهِ عن عرش السلطنة ومن شيخ الاسلام باسقاطه عن عرش الخلافة ، فذهب الستة الى قصر « يلدز » وطلبوا مقابلته فوجدوه قد اختبأ عند الحرم ، فذهبوا لمقابلته فخشي ان يكونوا مكلفين بالفتك بهِ ، فسُقط في يده ، فطيبوا خاطره ، وبعد ان هدأ روعه ابلغوه مهمتهم ثم استأمنهم على حياته فقالوا : ان الامة ضامنة حياته وراحته وراحة اسرته ، وانه قد عُيّن قصر «بيلربك» لنزوله لانهم لا يأمنون على راحته وهو في « يلدز » فلم يرق له ذلك ، وقال : اني احب الموت في القصر الذي ولدت فيه وهو قصر « جراغان » فقالوا : اننا لا نستطيع ذلك لان مجلس الامة الذي يضمن حياته اقرّ عَلى القصر الاول ، ثم خيَّروه في ما يريد استصحابه معه فعين بعض نسائه وجواريه وولديه الصغيرين فاجابوا طلبه ، ولما خرج الى القصر الجديد ظهرت عليه دلائل الجزع الشديد حتى انه لم يستطع الكلام مع مندوبي المجلس ، ولكنه ردَّ مراراً هذا القول : « قدر محتوم ، لا مفرَّ مما قدَّر الله »

أُعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك يخلعه

= وبعد ان صرف ليلته في القصر اقرَّت الهيأة على ارساله الى سلانيك في قطار خاص من غير مظاهرة مع ما يلزم من الخفراء والخدم لراحته وراحة اسرته · فاراح

الله الامة العثمانية من شره وشر اعماله المنكرة التي لا يقبلها عقل ولا تقرّ عليها شريعة سماوية او وضعية

هكذا ان الله يمدُّ للظالم حتى اذا اخذه لم يمهله ، هكذا ان الباطل يزهق ويمحى ولو مكث عشرات من السنين ، هكذا الحق لابدّ ان يعلو ولو بعد حين« سنة الله التي قد خلت من قبلْ ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

صدى الخلع والتولية

ولم يكد ينتشر خبر سقوط عبد الحميد وجلوس السلطان محمد الخامس حتى تهللت الوجوه فرحاً وطفحت القلوب سروراً ، فما كنت تسمع الا السنة تقول : الآن قد نلنا الحرية الصحيحة ، الآن يمكننا ان نخطو الى الامام ، نعم ان هناك طائفة من الجواسيس قد استاءت من سقوط عبد الحميد لانهم كانوا يأملون ارجاع الحالة الاولى واعادة سلطتها المطلقة فيرجع اليهم ما كانوا يتقاضون من الذهب والفضة سحتاً وظلماً ، نعم ان هناك طائفة من المأمورين أُغمي عليهم عندما سمعوا هذا الخبر الهائل وان كان منتظراً ، فكنت تراهم بين الجموع وقلوبهم تفيض من الدم حزناً على ما كانوا يرجون ، واسفاً على سقوطهم ، ويأساً من هذه الحياة فلا حياة لهم طيبة بعد الآن ، وليست الحياة الطيبة الا للحر الصحيح الحرية والمأمور الحسن الطوية الذي لا يظلم ولا يستبد ولا يُرشى ولا ينصر الظالم على المظلوم رعاية للخواطر او احتراماً للاصفر الرنان ، لهذا فانا ننصح لكل امرىء تولى وظيفة من وظائف الحكومة ان يخدمها بكل صدق واخلاص ، فقد مضى زمن التمويه والاستبداد ، وجاء زمن العدل والحرية والانصاف ، والا فان سيف الدستور يقطع رقابهم ويجعلهم كأمسِ الدابر

جريدة التان والسلطان عبد الحميد

كنا قد عزمنا عَلَى ان نكتب فصولاً ضافية عن السيآت التي اتاها عبد الحميد ايام سلطنته ، غير اننا ضربنا صفحاً عن ذلك لعلمنـــا ان سيآته اكثر من ان تُحصى ، وهل تُحصى منكرات رجلٍ كلُّه سيآت ؟

ماذا نذكر من سيآته ؟ أنذكر إحراقه للكتب الدينية وتبديد شمل العلماء ؟ ام نذكر تضييقه عَلَى الصحافة ؟ ام نذكر انتشار الجواسيس اللئام في ايامه ؟ ام نذكر قضاءه عَلَى النفوس الطاهرة واهراقه الدماء البريئة واغراقــه الرجال المصلحين ؟ ام نذكر تبديده ثروة الامة وصرفها تلقاء شهواته وكنزها في خزينته الخاصة وايداعها لنفسهِ في مصارف اوروبا ؟ ام نذكر تضييعه ولايات الدولة الكثيرة وجعلها طعمة سائغــة للدول الغربية كرماً منه وفضلاً

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليهِ تسليم البلاد

نعم ان له حسنة واحدة وهي السكة الحجازية غير انه خلط هذه الحسنة بسيئات كثيرة ، فقد اختلس هو وعزت العابد ما يربو على ثلثيْ ما ورد لاجلها من الاعانات وشربا على تلك الاموال الطائلة ماءً عذباً بارداً .....

اجل اننا لنطوي دون تعداد تلك السيئات كشحاً ، ونكتفي بكلام جريدة التان ، وفيهِ فصل الخطاب — فقد عقدت فصلاً افتتاحياً في احدا عدادها قبل خلعه قالت :

لا يسعنا الا ان نستغرب كل الاستغراب ابقاء السلطان عبد الحميد على كرسي السلطنة في زمن حكم دستوري حقيقي ولا يمكننا الا ان نعدّه من النقائض لان الرجل درج على الحكم الاستبدادي

لا ننكر على هذا السلطان اقتداره السياسي وحنكته وخبرته فكلها مشهورة معروفة ، ونعتقد انه ليس بين ملوك اوربا ملك يضاهيه في الاقتدار على ادارة الشئون

بيد ان المرض الذي أنهك قُواه في الايام الاخيرة قد اضعف عزيمته بعد ان كان في ايام شبابه سياسياً محنكاً يقلُّ نظيره ، ولكن دوره الماضي يبرهن على انه غير مستعد لادارة بلاده في عهد الدستور

السلطان عبد الحميد لم يعرف من وسائل الحكم الا القوة فالقوة كان يستعملها في كل شيء وقد كان يقتل بها بسبب الوهم ، ولم يُذكر انه خضع يوماً للحق

ان جمعية الاتحاد والترقي تعتقد اليوم بان وجوده على العرش خطر عليها وعلى الدستور ، لكن نتمنى من هؤلاء الاعضاء ان لا يلطخوا القصر بالدماء

ان في وسع اعضاء الجمعية ان يعدلوا عن العادة القديمة ولا يستعملوا مبضع عبد العزيز ولا حبل الخنق وهو غاية ما نتوقعه منهم

ان القتل مع عدم فائدته هو اعظم جناية

ان اعضاء الجمعية يمكنهم ان يأمنوا من شر رجل بلغ التاسعة والستين دون ان يقتلوه و بذلك يكونون قد نالوا مركزاً ادبياً

ان الدولة العثمانية سيئة السيرة بسبب سوء ادارة القائمين بشؤونها ، فاذا قام اليوم رجال الاصلاح فيها ولزموا خطة الاعتدال يخدمون بلادهم خدمة كبيرة ، على اننا نتوقع من عبد الحميد نفسه الذي امضى كل مدة ملكه بالاوهام والخوف ان يلتزم الحيادة التامة ليطمئن منه بال الذين فازوا عليه في هذا العهد

السلطان الجديد

بعد صدور الفتوى بخلع عبد الحميد انتدب اقدم مشير في الدولة وهو مختار باشا الغازي واقدم موظف في نظارة العدلية لابلاغ ولي العهد محمد رشاد افندي خبر توليته الملك وكان في سراي « طولمه بغجه » والاتيان به الى السرعسكرية ليقسم يمين الامانة والاخلاص للامة والدستور امام شيخ الاسلام وهيأة الوكلاء ورئيس مجلس المبعوثان والاعيان ، فقال للوفد الذي اخبره ارتقاءه على كرسي الملك : اني مسرور بكوني اول ملك دستوري في تركية ، واني لما كنتُ من الذين ذاقوا طعم الظلم فاني أُشارك المظلومين بالعواطف . — وكانت الحفلة مهيبة ، وقد هتف الناس له في الذهاب والاياب ، وقد تحمس الجنود بينما كان موكبه سائراً في الشوارع فطفقوا يطلقون الرصاص في الهواء سروراً بذلك ، ولكن الضباط اوقفوهم حالاً ، وقد زينت الشوارع بالاعلام الكثيرة ، وكذلك السفن في الميناء

وعند وصوله اقسم اليمين، وسلم عليه الشريف علي حيدر بك ومحمد ضياء الدين شيخ الاسلام بلقب الخلافة ورئيس مجلس الامة العمومي سعيد باشا بلقب السلطنة .



(مستعار عن رسم لجريدة الاتحاد العثماني)

السلطان محمد الخامس

وُلد في ٢١ من شوال سنة ١٢٦٠ هـ وبويع له بالخلافة والسلطنة الساعة ٦٫ من نهار الثلاثاء سابع ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ من نيسان سنة ١٣٢٥ وعمره سبع وستون سنة وهو ثالث انجال السلطان عبد المجيد « رحمه الله »

ثم صدرت الاوامر الى نظارة الداخلية والحربية باعلان البشرى باطلاق المدافع وقد ورد تلغراف من «لندرا» على «الاجبت» مؤداه ان بلاط السلطان الجديد سيكون كبلاط ملوك اوربا ، وتكون معيشة بلاطه خالية من البذخ والترف ، ونفقات بلاطه قليلة بالنسبة الى ما كانت عليه قبل عهده

وقد ارسل ملوك الدول الكبرى برقيات يهنئون فيها السلطان الجديد

شيءٌ عن حاله وشمائله ومعيشته

هو ثالث ابناء المرحوم السلطان عبد المجيد ، واولهم المرحوم السلطان مراد الخامس وثانيهم السلطان المخلوع عبد الحميد ، وقد ابصر سلطاننا الجديد نور الحياة في الحادي والعشرين من شوال سنة ستين ومائتين والف ١٢٦٠ للهجرة ، وفي الثالث من تشرين الثاني سنة اربع واربعين وثمانمائة والف ١٨٤٤ للميلاد فهو الآن في السابعة والستين على الحساب القمري ، وفي الخامسة والستين على الحساب الشمسي · وهو السلطان الخامس والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، والسلطان التاسع والعشرون بعد فتح قسطنطينية

وكان منذ صغره يتّقد غيرة ونجابة ، وكان مكبّاً على الدرس والمطالعة والبحث عن سياسة العالم وسبب ترقي الامم الاوربية ، وقد درس العلوم وبعض اللغات خصوصاً اللغة العربية والفارسية والافرنسية حتى اجادها قراءة وكتابة ، وله ضلع قوي في اللغة الفارسية حتى كان ينظم فيها الشعر كاحد ابنائها ، وهو يتكلم باللغة الفرنساوية كما يتكلم بالتركية · — وهو خبير باحوال السياسة الحاضرة لانه كان ولوعاً بمطالعة الجرائد الاجنبية ، مع شدة المراقبة والحجر عليه

ولما جلس اخوه عبد الحميد على كرسي الملك بعد خلع السلطان مراد عُين قائداً اكبر للجيش العثماني ، غير ان عبد الحميد نزع منه هذا المنصب لانه كان سيء الظن بكل اعضاء الاسرة المالكة خصوصاً اخاه رشاداً لانه معروف بمبادئه الدستورية الحرة وميله الى الاصلاح الحقيقي

ثم قُضي عليه ان يعيش سجيناً محروماً من التمتع بثمرات الحرية الشهية ، فوضعه اخوه في قصر « زنجرلي » فقضى فيه نحواً من ثلاثين سنة ظلماً وعدواناً . غير ان السجن لم يمنعه من متابعة الدرس والمطالعة والبحث عن احوال العالم والامم والسياسة الحاضرة في داخل السلطنة وخارجها . وكانت الجواسيس المحيطة بقصره تراقب حركاته وجميع اعماله بدقة ، ثم ترفع التقارير لعبد الحميد في كل يوم ، وكان التضييق عليه يزداد يوماً فيوماً الى ان أُعلن القانون الاساسي فأُفرج عنه مع من أُفرج عنهم . — فلما أُفرج عنهُ ازداد شغفاً بالمطالعة حتى كان يهجر سريره مبكراً ويقضي الساعات الطويلة في غرف القراءة

وله اربعة اولاد وهم : الامير ضياء الدين افندي والامير نجم الدين افندي والامير عمر حلمي افندي والاميرة رفيعة سلطان

وقد نشر المقطم شذرة مترجمة بقلم ادوار افندي مرقص عن كتاب فرنساوي اسمه « عبد الحميد في معيشته الداخلية » وصف بها حالة سلطاننا الجديد فآثرنا نقلها لمكان المناسبة قال : اما ولي العهد الشرعي للسلطان عبد الحميد فهو اخوه رشاد افندي وهو رجل حيّ الضمير صحيح الادراك وان لم يكن شديد الذكاء غزير المعارف . وفي جملة ما يفوق بهِ اخاه عبد الحميد انه متضلع من اللغة الفارسية التي ينظم الشعر فيها . وهو مطلع على احوال السلطنة وحوادثها . آسف عَلَى سوء حالها . حسن النية خالص الطوية من جهتها . وقد حاول اخوه عبد الحميد ان يشغله عن احوال السلطنة وشؤونها فلم يفلح

وهذا الامير يعيش في عزلة مكرهاً عليها تحيط به الجواسيس والرقباء في كل ساعة فيكادون يحصون عليهِ انفاسه ، وكان بينه وبين العالم حاجزاً منيعاً ، وقلما يدنو منه من الناس غير خدمهِ ووكلائهِ والقائمين بحاجاتهِ الضرورية كطبيبهِ الخاص وخياطه الخاص ، ومنهم عرف مبلغ كرم خلقه وحزنه على ما يفعله اخوه السلطان

وقد يحتاج الامير الى بعض اصدقائه لقضاء حاجة خصوصية ليست من السياسة في شيء فيستعين على تبليغهم ذلك بنساء قصره اللواتي يجتمعن احياناً قليلة بنسائهم

و بسبب هذه الوساطة نُفي من الاستانة منذ سنتين (سنة ١٩٠١) اربع من عائلات اولئك الاصدقاء بتهمة ان نسائهم قمن بمهمات سياسية بين ولي العهد وانصاره

ويصح الحكم على اخلاق رشاد افندي وسجاياهُ من اصدقائهِ الاخصاء الذين اختارهم دون سواهم فكلهم أُباة النفوس كرام الاخلاق عائشون بمعزل عن الدسائس والمكايد ينتظرون اليوم الميمون الذي يجلس فيه صديقهم العظيم على سرير آل عثمان فينقذ نفسه من الضيم والوطن من الدمار

واذا كان رشاد افندي لايحب اخاه الاكبر « عبد الحميد » فان اخاه ايضاً يبغضه لا سيما لما اتصف بهِ من الشمم والنبل وعزة النفس والأنفة من التسفل الى درك التجسس وارهاق الرعية خدمة للسلطان وطمعاً برضاهُ كما كان يفعل « عبد الحميد » من تلقاء نفسهِ وهو ولي العهد تزلفاً الى عمه « عبد العزيز » القابض على صولجان الملك يومئذٍ . ومن اسباب بغض عبد الحميد لاخيه رشاد افندي انه يتوهم ان هذا الاخ ينتظر موته بفروغ الصبر ليتبوأ العرش مكانه . وهذه التهمة لايخص بها رشاداً بل يدخل فيها جميع امراء أُسرته من آل عثمان

والسلطان « عبد الحميد » كثير التفاؤُل والتشاؤُم عظيم التصديق بالخرافات والاوهام وهو يتصور ان اخاه رشاداً شؤْم اكيد عليه . واتفق منذ خمس سنوات (اي منذ ١١ سنة من تاريخ اليوم) ان حضر مجلس السلطان بعض امراء اسرته وبينهم رشاد افندي فلم يلبث عبد الحميد ان شعر بأَلم شديد في اصبع من اصابعه فخرج من المجلس مستاءً وقال لبعض حاشيته : كلما لاح لي وجه رشاد اصابني أَلم او امرٌ آخر سيء . واتفق له مثل ذلك ايضاً في اجتماع سابق باخيه . ومن ذلك الحين لم يعد يسمح لولي عهده بالدخول عليه الا نادراً جداً بل لم يعد يراه ابداً تقريباً لانه سأله ذات يوم عن اصلح حكم للسلطنة فاجابهُ : « هو الحكم الحر » اي الدستوري وكانا حينئذٍ معاً يشهدان تمثيل رواية في مرسح يلديز . انتهى

حديث للسلطان الجديد

مع مكاتب جريدة « ديلي كرونيكل »

نشرت جريدة « ديلي كرونيكل » حديثاً لمكاتبها مع السلطان الجديد فكان له دوي ورنين عظيمان ، وكان المكاتب قد توجه إلى القصر مع ادهم بك قومندان جنود القصر باذن خصوصي من شوكت باشا والدكتور خيري بك ومحمود صادق افندي. فرحب جلالة السلطان محمد الخامس به وقال له :

(انك اول اوربي اذنت له في مقابلتي منذ ثلاث وثلاثين سنة ، واول صحافي يقابلني في القصر) — ثم قال :

ان الانكليز كانوا اصدقائي طول ايامي ، وهذا الوقت وقت خطير الشأن عند الامة العثمانية باسرها ، وقد طالما قذف بي اعدائي ورموني بالعته والبله ، ولكن الله سبحانه وتعالى قضى برحمته وعنايته ان اقوم بما قدره لي واحكم على المسلمين

وقال ايضاً :

ان جرائد العالم لا سيما الجرائد الانكليزية مطالبة بقضاء واجب عظيم ، فاني اعتقد ان الرجل الذي يدير السيف بيده قوي ، ولكني اعتقد ان الرجل الذي يحرك القلم بانامله هو اقوى جميع الناس

كن رسولي وأبلغ اوربا والعالم كله عني ما اقوله لك . ليعلم الجميع اني كنت دائماً راغباً في الحرية والتقدم ومؤيداً لهما ولا ازال كذلك ، وقد شاء الله سبحانه وتعالى ان ارتقي الى سرير آل عثمان وانا شاعر كل الشعور بالمسئولية الملقاة على عاتقي والواجبات المطلوبة مني والعبء الثقيل الذي احمله ، وأؤمل بمعونة الله ان اسير في الصراط المستقيم وأؤيد كل من كان نزيهاً مستقيماً سواء كان من المسلمين او غير المسلمين بلا فرق ولا تمييز نعم ان صوتي لم يُسمع مدة ثلاث وثلاثين سنة ، ولكن صوت ضميري يقظان لم ينم

وسأله المكاتب عن حالة تركيا الحديثة فقال له :

لما أطلق سراحي سياسياً من السجن الذي قضيت فيه السنين الطوال جعلت اتتبع تقدم العالم ، ويعلم القليلون الذين حفظوا ولائي حتى في اشد ايام محنتي اني كنت من انصار الدستور والمجالس النيابية من اوائل ايامي الى اليوم ، وذلك مع محافظتي على مبادئ القرآن الشريف وتعاليمه تمام المحافظة ولم أحِد عن هذه الآراء طول ايامي واني اشد الناس انتصاراً لسياسة حزب تركيا الفتاة

واشار في كلامه الى ملك الانكليز فقال : انه يُعجَب به جداً لانه ملك عظيم السطوة جداً يحترمه ملايين من المسلمين الذين يحكمهم الاحترام الذي يستحقه . ثم قال :

اني ذاهب الى يلدز لأؤيد حريتنا الوطنية وسلامتنا ، وسأؤيد السلام والصداقة بين كل الناس . ابلغ اهالي انكلترا تحياتي الودية واطلب منهم ان يميلوا الينا وان يؤيدوا الرجل الذي يقف الآن مرتجفاً على سلم العرش . ان كل يوم يمر بنا يكون فاتحة عصر جديد في تاريخ تركيا

وقال في ختام حديثه : انه لاتنافي بين الشريعة الاسلامية والحرية السياسية

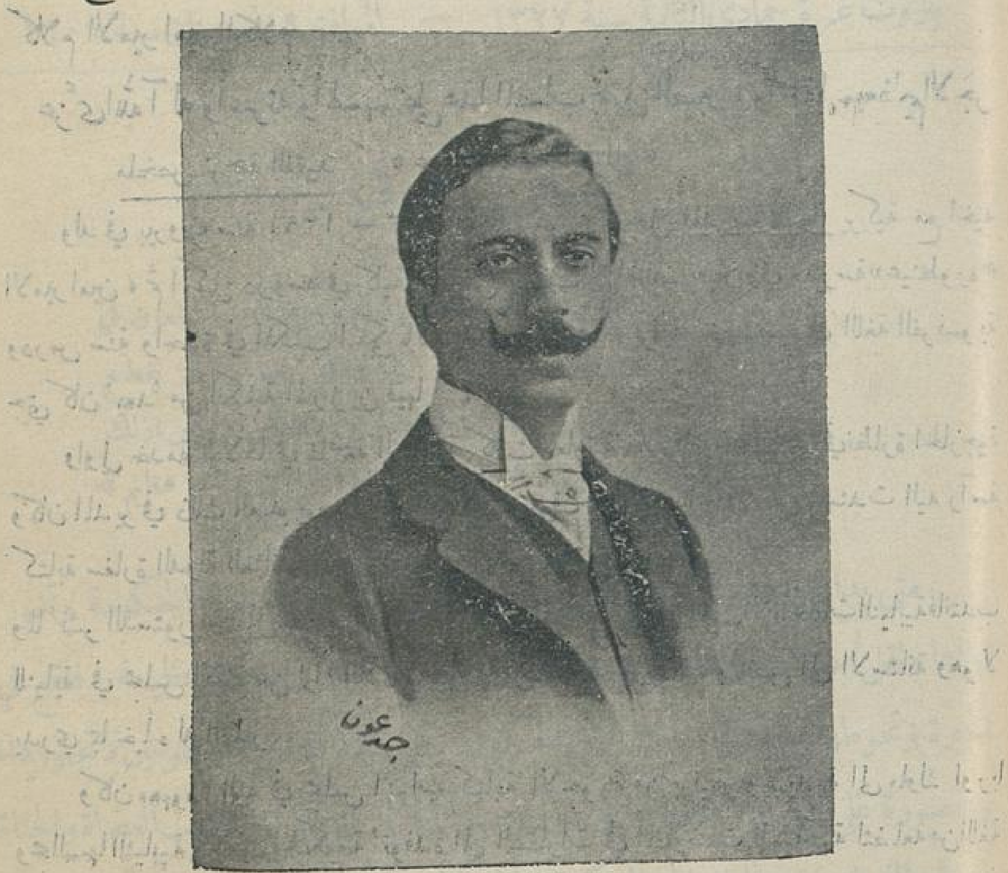
الامير محمد ارسلان

فقيد الامة وشهيد الوطن والدستور والحرية

رُزئت في الشهر الماضي الامة السورية بل الامة العربية بل الامة العثمانية برجل من خيرة رجالها وشاب من انجب شبانها الا وهو المرحوم المبرور الامير محمد ارسلان نجل عطوفة الامير مصطفى ارسلان الشهير . قضى رحمهُ الله على ابواب مجلس الامة شهيداً بايدي الخائنين احزاب التقهقر

كان رحمه الله شاباً اديباً ذكياً ذا اخلاق فاضلة واطلاع واسع وعلمٍ غزير ،

وقد تناقلت خبر قتله والاسف عليه البرقيات الخاصة والعامة والصحف العثمانية والاوربية على اختلافها ، وقد اكبر الجميع هذا المصاب . وقد أُتي بجثمانه من استانة الى بيروت ودفن فيها بعد ان صُلي عليه في جامعها العمري الكبير ، وقد كان لاستقبال جثته احتفال عظيم ، وقد ابنه الخطباء ورثاه الشعراء ، ورثاه صاحب هذه المجلة بقصيدة تائية طبعها مستقلة وجعلها ملحقاً للعدد الرابع من النبراس ، غير انه قد حصل خطاء في تاريخ طبعها فقد ذُكر في اسفلها انها طبعت في ٤ من ربيع الاول والصواب ربيع الثاني



(مستعار عن رسم لجريدة لسان الاتحاد)

الامير محمد ارسلان

شهيد الوطن والدستور ونائب اللاذقية في مجلس الأمة

(كان الامير محمد ارسلان رجلاً قد ضم جسمه النحيل روحاً عظيمة ونفساً كبيرة قلّما توجدان في غيره لذلك أقدم حيث أحجم غيره . وقدَّم نفسه فداءً عن الامة والوطن العزيز) (منشئ النبراس)

هذا وكان الاسف عليه عاماً ممن عرفه ومن لم يعرفه ، لان اخباره واعماله في مجلس الامة كان يرنُّ صداها في كل أُذن

غير ان اسرته الكريمة وخصوصاً والده قد اظهرت كل صبر وتجلد ، حتى قال ابن عمه الامير شكيب ارسلان : « فقدنا عضواً من اعضاء أُسرتنا في سبيل الدستور فليُعلم الحاضر الغائب أن عائلة ارسلان جمعاء تفدي دمها اذا كان في ذلك صلاح الامة »

ولا شك ان هذا الكلام كلام عاقل حازم ورجل رشيد ، ومن هنا يظهر أن كلام الامير امير الكلام

عزّى الله آله وأُسرته وألهمهم على هذا المصاب جميل الصبر ، وأَحفلهم بعظيم الاجر

ملخص ترجمة الفقيد « عن جريدة الاحوال »

ولد في بيروت سنة ١٢٩١ — ١٨٧٣ ولما ترعرع أُدخل المدرسة البطريركية مع اخيه الامير امين ، ثم اكمل دروسه في كلية القديس يوسف للاباء اليسوعيين وفي مدرسة «عينطوره» ودرس سنة واحدة في المكتب الملكي بالاستانة . وكانت له براعة خصوصية في اللغة الفرنسوية حتى كان يُعدُّ من الكتبة المبرزين فيها

واول خدمة تولاها في عاصمة السلطنة كانت معاونية مدير القلم المخصوص في نظارة الخارجية وكان المدير في ذلك العهد يوسف باشا فرنقو متصرف لبنان الحالي . ثم أُسندت اليه رآسة كتابة سفارة الدولة العثمانية في « بلغراد » ثم عُين مستشاراً فيها

ولما نُشر الدستور استقال من المستشارية وعاد الى موطنه الى ان كانت الانتخابات النيابية فانتدب للنيابة في مجلس الامة عن لواء اللاذقية من اعمال ولاية بيروت ، وشخص الى الاستانة وهو لا يدري بما خبأه له القدر

وكان معهوداً اليه في مجلس النواب كتابة الاجوبة من برقية وبريدية الى ملوك اوربا ومجالسها النيابية وكانت الحكومة تُوفده الى السفارات في المفاوضات السياسية لتضلعه من اللغة الفرنسوية على ما سبق لنا بيانه . ثم انتخب عضواً في اللجنة الداخلية « لمجلس الامة » ثم انتخب عضواً في اللجنة الخارجية ثم رئيساً لها

وكان ذووه وعارفوه يتوقعون له مستقبلاً رائعاً وتقدماً سريعاً فاذا بنبأ مصرعه قد فاجأهم فادمى الافئدة واستنزف ماء العيون فلا حول ولا